السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٣١)

وَفِي الطَّرِيْقِ إِلى المَدِيْنَةِ!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى
1425هـ - 2005 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فَاشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ

تَعَالَوْا أَيُّهَا الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنُرافِقَ المُصْطَفىٰ ﷺ في رِحْلَتِهِ إلىٰ المَدِيْنَةِ ، وَلنَرَىٰ عَنْ قُرْبٍ أَهَمَّ مَا حَدَثَ مَعَهُ .

وَمِنْ تِلْكَ الأُمُورِ العَجِيْبَةِ حِكَايَةُ الرَّاعِي وَكَيْفَ أَسْلَم ، وَمُلَخَّصُها مَا يَلِي :

لَمَّا انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُسْتَخْفِيَينِ ، مرَّا بِعَبْدٍ يَرْعىٰ غَنَماً فَاسْتَسْقَياهُ مِنَ اللَّبنِ ـ أي : طَلَبا مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُما قَلِيْلاً مِنَ اللَّبَنِ ـ .

فَقَالَ : مَا عِنْدي شَاةٌ تَحْلِبُ ، غَيْرَ أَنَّ هَاهُنَا

عَنَاقاً[1] حَمَلَتْ أوَّل الشِّتَاء ، وَقَدْ أَخْدَجَتْ[2] وَمَا بَقِي لَهَا لَبَنٌ .

فَقَالَ : ادْعُ بِهَا ، فَدَعَا بِهَا ، فَاعْتَقَلَهَا النَّبيُّ ﷺ ، وَمَسَحَ ضَرْعَها وَدَعَا حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ .

قَالَ : وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ـ رَضي اللهُ عَنْهُ ـ بِوِعَاءٍ فَحلبها النَّبيُّ ﷺ فَسَقىٰ أَبا بكرٍ ، ثُمَّ حَلب ، فَسَقَىٰ الرَّاعِي ، ثُمَّ حَلَبَ ، فَشَرِب ﷺ .

فَقَال الرَّاعِي : بِاللهِ مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَاللهِ مارَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ!

قال : « أَوَتراكَ تَكْتُم عَلَيَّ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ ؟ » .

قَالَ : نَعَمْ!

---

(١) العَنَاق : هو الأنثى من أولاد المعزِ والغنم ، وعادة يطلق على ما يكون أقلَّ من سنة .

(٢) أي : ألقتْ ولدها قبل تمام أيَّامه .

قَالَ : فَإِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ .

فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ قُرَيْشٌ أَنَّهُ صَابِىءٌ ؟

قَالَ : « إِنَّهُم لَيَقُولُونَ ذَلِكَ! » .

قَالَ : فَأَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ ، وَأَنَّهُ لاَ يَفْعَلُ مَا فَعَلْتَ إِلا نَبِيٌّ . وَأَنَا مُتَّبِعُكَ .

قَالَ : « إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ ، فَإِذَا بَلَغَكَ أَنِّي قَدْ ظَهَرْتُ ، فائْتِنَا » .

* * *

فِي خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ!!

وَفِي الطَّرِيْقِ مَرَّ المَوْكِبُ - وَهُوَ المُكَوَّنُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، وَدَلِيْلِهِمَا عَبْد اللهِ بْنِ أُرَيْقِط - بِخَيْمَةٍ ، فَسَأَلُوا : فَقِيْلَ هَذِهِ خَيْمَةٌ تُوْجَدُ فِيْهَا امْرأَةٌ ، يُقَالُ لَهَا (أُمُّ مَعْبَدٍ) ، وَهِيَ تُطْعِمُ النَّاسَ وَتَسْقِيهِمْ رَغْبَةً في القِيَام عَلىٰ رَاحَةِ المُسَافِرِيْنَ .

وَلمَّا تَوقَّفُوا عِنْدَ بَابِ خَيْمَتِها ، طَلَبُوا تَمْرَاً ولحماً ، فَلَمْ يُصِيْبُوا عِنْدَهَا شَيْئَاً مِنْ ذَلِكَ .

فَنَظَرَ رَسُوْلُ اللهِ إلىٰ شَاةٍ في زَاوِيَةِ الخَيْمَةِ ، فَسَأَلَ أُمَّ مَعْبَدٍ :

« مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ » .

فَقَالَتْ : شَاةٌ تَرَكَهَا الرُّعْيَان مِنْ شِدَّة تَعَبِهَا وَجُهْدِهَا .

قَالَ : « هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ » .

قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : « أَتَأْذَنِيْنَ لِيْ أَنْ أَحْلُبَها ؟ » .

قَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَباً ، فَاحْلُبْهَا .

فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَها ، وَسَمَّىٰ اللهَ تَعَالى ، فَدَرَّ حَلِيْبُهَا!

فَأُتِيَ بِإِنَاءٍ ، فَمَلأَه حَلِيْباً ، فَشَرِبَ هُوَ ، وَشَرِبَتْ مِنْهُ ، وَشَرِبَ صَاحِباهُ حَتَّىٰ رَوِيَا .

وكَانَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ تَنْظُرُ إِلى مَا يَجري ،

فَتَقُول في نَفْسِهَا : إِنَّ هَذَا لشَيءٌ عُجَابٌ ! كَيْفَ تَدِرُّ الشَّاةُ المُجْهَدةُ حَلِيْباً ؟

وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ زَوْجُهَا ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَا جَرَىٰ ، فَازْدَاد الرَّجُلُ عَجَباً...!

* * *

obeikandl.com

« اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ ! »

وَهَذِهِ هِيَ الحِكَايَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي حَدَثَتْ مَعَ المَوْكِبِ المُهَاجِرِ ، فَلْنَسْتَمِعْ إِلَيْهَا مِنْ (سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَقَدْ شَهِدَ أَحْدَاثَهَا بِعَيْنِهِ :

فَبَيْنَما أَنَا جَالِسٌ في مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، حَتَّىٰ قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنَ جُلُوسٌ ، فَقَالَ : يا سُرَاقَةُ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفاً أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ .

قَالَ سُرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُم لَيْسُوا بِهُمْ . وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاناً وَفُلاناً انْطلقُوا بِأَعْيُنِنَا .

ثُمَّ لَبِثْتُ في المَجْلِسِ سَاعَةً ، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاء أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَها عَلَيَّ ، وَأَخَذْتُ رمحي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ ، فتحططتُ بِزُجِّهِ[1] الأَرْضِ ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ فَرَسي ، فَرَكِبْتُهَا فَرَفَّعْتُهَا تُقَرِّبُ[2] بِي حتَّىٰ دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرَتْ بي فَرَسي ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا ، فَقُمْتُ ، وَأَرَدْتُ اللِّحاق بِهِمْ ، لَكِنَّ الفَرَسَ عَثَرَتْ مَرَّةً أُخْرىٰ... وَثَالِثَةً!

فَعَرَفْتُ حِيْنَ رَأَيْتُ ذَلِكَ : أَنَّهُ مُنِعَ مِنِّي ، وَأَنَا ظَاهِرٌ .

---

(١) الزُّجُّ : الحدِيْدَة الَّتي تُركَّبُ في أسفلِ الرُّمح .

(٢) أيْ : تُسْرِعُ بي عَدْواً .

قَالَ : فَنَادَيْتُ القَوْمَ ، فَقُلْتُ : أَنَا سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ ، أَنْظِرونِي أُكَلِّمْكُم ، فَوَاللهِ لا أُرِيْبُكُم - أَيْ : لا أُخِيْفُكُمْ - وَلا يَأْتِيْكُم مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُوْنَهُ!

قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأبِي بَكْرٍ : « قَلْ لَهُ وَمَا تَبْتَغِي مِنَّا ؟ » .

قَالَ : فَقَالَ لِيْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ .

فَقُلْتُ : تَكتُبُ لِي كِتَاباً يَكُونُ آيَةً بَيني وَبَيْنك .

قال : « فَاكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكرٍ! » .

فَكَتَبَ لِي كِتَابَاً في عَظْمٍ أَوْ رُقْعَةٍ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ إِليَّ .

فَسَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ عَمَّا حَدَثَ مَعَ فَرَسي ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ دَعَا رَبَّهُ قَائِلاً : « اللَّهُمَ اصْرَعْهُ!.. اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ! » .

فَأَخَذْتُ الكِتَابَ ، وَوضَعْتُهُ في كِنَانَتِي ، ثُمَّ رَجَعْتُ ، وَسَكَتُّ فَلَمْ أَذْكُرْ شَيْئَاً مِمَّا كانَ .

* * *

obeikandl.com

وَنَمْضِي مَعَ الْمَعْصُومِ ﷺ

وَهَكَذَا يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمَ مَازِلْنَا فِي صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ، نَقْطَعُ مَعَهُ الوِدْيَانَ والهِضَابَ ، وَالسُّهُولَ ، وَالتِّلالَ ، وَهَا نَحْنُ نَكَادُ نَقْتَرِبُ مِنَ المَدِيْنَةِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعْنَا مَسَافَاتٍ طَوِيْلَةً .

وهَا هُوَ (بُرَيْدَةُ بْنُ الحُصَيْب) وَمَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِيْنَ فَارِساً ، فَيَا تُرَىٰ مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلاء ؟

إِنَّهُمْ سَمِعُوا بِالجَائِزَةِ الكَبيرةَ الَّتِي وَضَعَتْها قُرَيْشٌ لِمَنْ يأْتِي بِمُحَمَّدِ بْن عَبْد اللهِ حَيَّاً أَوْ مَيْتَاً ، وَهَا هُمْ يَقِفُونَ عَلىٰ مَشَارِفِ المَدِيْنَةِ ، يُرِيْدُونَ

القَبْض عَلَيْهِ وَإِعَادَتِهِ إلى مَكَّةَ لِيَقْبِضُوا ثَمَنَ الجَائِزَةِ ! لَكِن مَاذَا حَدَث ؟

لمَّا اقْتَرَبُوا مِنَ الرَّسُولِ ، سَأَلَ رَسُولُ اللهِ بُرَيْدَةَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » فَقَالَ : أَنَا بُرَيْدَةُ ، فَالْتَفَتَ إلى أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ بَرُدَ أَمْرنا ، وَصَلَحَ » ثُمَّ قَال : « مِمَّن أَنْتَ ؟ » .

قَالَ : مِنْ أَسْلَمَ .

فَقَالَ الرَّسُولُ لأَبِيْ بَكْرٍ : « سَلِمْنَا » .

ثُمَّ قَالَ : « مِمَّنْ ؟ » .

قَال : مِنْ بَنِي سَهْمٍ .

فَقَالَ الرَّسُولُ : « خَرَجَ سَهْمُك يَا أَبَا بَكْرٍ » .

فَقَالَ بُرَيْدَةُ لِلنَّبِيّ ﷺ : فَمَنْ أَنْتَ ؟

قَالَ : « أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولُ اللهِ » .

فَقَالَ بُرَيْدَةُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه! فَأَسْلَم وَأَسْلَم مَنْ كَانَ مَعَهُ جَمِيْعاً...

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *

obeikandl.com